العمارة والبيئة في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور فليح كريم خضير الركابي
عميد كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الخلاصة:
العمارة فن امتزجت فيه المادة بالفن والخيال وتمكن الإنسان من ذلك الامتزاج ان يبتكر أشكال ومساكن ملائمة لعيشه ، وتمثل العمارة السقوف والجدران الهندسية التي تتضمن الجمالية والبهجة التي ينبغي ان تدخلها الى النفس الإنسانية فضلاً عن انها تؤمن حماية وأمان بوجه الكوارث الطبيعية او تكون على شكل حصون وقلاع يحتمي بها او يدافع عن نفسه ضد هجمات الأعداء . والعمارة من العلوم المهمة التي وردت في القرآن الكريم وقد عرض لنا أشكال هندسية مختلفة منذ الأقوام البائدة كانت إنموذجات لعمارة فنية رائدة مثل جنة عاد وبيوت قوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد وقد عرض لنا الله سبحانه وتعالى بناء السماوات والأرض وبناء الإنسان وبناء الكعبة المشرفة وكيف علم الإنسان ان ينحت من الصخر بيوتاً فارهة ويشيد القصور في السهول والواحات وكانت هناك ثقافة بناء الصروح مثل صرح النبي سليمان (ع) وصرح فرعون والمواد المستخدمة في البناء مثل الطين والطين المفخور ونظام البناء المتماسك ككرب النخل وهو بناء النبي إبراهيم (ع) للكعبة التي حاول في البدء بنائها الا انها كانت تسقط فأوحى له الله ان يبنيها كما النخلة فكانت متماسكة ثم هناك عمارة الكائنات الأخرى وقد أخذنا بيوت النحل وبيوت النمل وبيت العنكبوت وهذه عمارة من طراز خاص والمواد المستخدمة في بنائها ثم تناولت الدراسة البيئة الملائمة للبناء واثرها في بقائه ومقاومته للعوامل الطبيعية وخرجنا بتوصيات منها :
١.حماية العمارة القديمة وصيانتها لأنها جزء من التراث .
٢.دعم المراكز المتخصصة في التخطيط والعمارة .

٣.دراسة علوم القرآن الكريم والاستفادة منها في إنشاء التصاميم الهندسية وتشجيع طلبة الدراسات العليا على الدخول في هذا الموضوع مستعينين بالقرآن الكريم .
٤.التشجيع على نظافة البيئة والمحافظة على المرافق العامة .

مدخل :
التراث زمن فكري متجدد وهو المأثور الذي تركه المبدعون في أزمنة مختلفة ربما يتطابق مع الواقع أو لا يتطابق ويستفيد منه اللاحق لأضاءة الأحداث او إسقاطه عليها كي يضيئها اذا استثمره بوعي ودراية . ان القرآن الكريم دستور امة متكامل للعصور كافة ويضم بين دفتيه العلوم والمعارف المختلفة التي تنظم حياة الإنسان وتعالج الهنات فيها وهو كتاب وعظ وإرشاد ونصح وطب للنفوس والأجساد وقد تناول في آياته البينات فن العمارة عند الأمم السالفة او اخبر عنها والأشكال الهندسية التي كانت تصمم مأوى اوحصناً للبشر او للحيوان فضلاً عن توضيح مواد البناء المستخدمة في العمل طبيعية كانت لبني البشر او من ابتكار الإنسان اذ هداه الله إليها وإيضاح أساليب العمران المتبعة في ذلك.

العمارة فن امتزجت فيه المادة بالفن والخيال ليبتكر منها الإنسان أجواء ملائمة لعيشه وإبداعه في الحياة الدنيا ولتبقى تلك الشواخص والآثار تحكي الإبداع الفني والهندسي على مر العصور .
والعمارة سقوف وجدران هندسية او غير هندسية تؤدي (أغراضاً إنسانية ومتطلبات حياتية بوسائل مكانية ومادية وبارتباط وثيق بحياة المجتمع وزمانه)[١].
والعمارة فن يشترط به ان يتضمن الجمالية والبهجة والبقاء على وجه الأديم مدة طويلة وان يوائم أذواق الناس . وقد كانت الحاجة أم الاختراع فشيد الإنسان العمارة كي يسكن فيها ليدرأ عن نفسه خطر التقلبات الجوية وكوارثها او المخاطر الأخرى المتمثلة بالحيوان او هجمات الأعداء او الطبيعة ، والعمارة (بشكل عام محصلة مركبة للثقافة المادية والروحية للمجتمع)[٢]فهي تمثل المستوى الراقي للثقافة في العمران والبناء والتصميم وتتجسد من خلالها ثقافة الشعوب المعمارية على مر الأزمنة وهي (منظومة للاتصالات والتفاهم تنقل فيها

المعلومات من باعث يتمثل بالمصمم الى متلقٍ يؤدي دور المفسر كائناً من يكون)[٣] والعمارة اليوم أصبحت مصطلحاً فنياً مستقراً في العلوم كافة له ركائزه ومقوماته الفنية (وإذا كانت العمارة علماً وفناً في آن واحد فأنها تنتمي باعتبار جانبها الفني الى مجموعة الفنون الجميلة اذ تشترك معها في العناصر المكونة لها كالخيال والحس المبدع وإضفاء الجمال المبهج في التكوينات ، وان أساس العمل فيها هو التكوين على أساس تصميم معين ، ويكمن الفرق بين العمارة والفنون الأخرى كالرسم والنحت في انها تتعلق بجوانب تجعلها أكثر عرضة للتقييد والالتزام) [٤].

ان الرسم والنحت والفنون الأخرى تتوافر فيها حرية للإبداع والتشكيل والتعبير وتحاول ان تتخطى القيود وهي في ذلك على العكس من فن العمارة الذي يلتزم او يتقيد ببعض الشروط والمواصفات اللازمة وللعمارة علاقة وطيدة بالبيئة والظروف المناخية التي تؤثر إما سلباً او إيجاباً في فن البناء فضلاً عن ان الإنسان يتأثر بالظروف البيئية في أثناء إنشاء العمارة التي تؤسس بناء على حاجته او متطلباته للوقاية من المؤثرات الخارجية وقد اختلفت أشكال العمارة من بيئة الى أخرى بسبب اختلاف الظروف المناخية التي لها علاقة بالبناء ومواده والتي ستخضع لتلك المتغيرات .

والعمارة التي نحن بصددها تلك التي تتدخل ارادة الإنسان او الحيوان في تكوين هيئتها وأشكالها على وفق صيغة تؤدي معها الغرض الذي أنشئت من اجله والوظيفة التي ينتظر منها ان تؤديها وتأسيساً على ذلك فالعمارة تكون مجموعة التصاميم الهندسية الفنية المبتكرة التي تعبر عن ذوق رفيع في الاختيار والدقة وذلك ما يضع تصاميمه بنو الإنسان فكيف اذا كان الخالق سبحانه وتعالى هو المصمم (جلّ وعلا) فضلاً عن ان ذلك التصميم في بيئات مختلفة .

وحين نبدأ بدراسة فن العمارة يطالعنا في البدء عمارة بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) وكيف أوحى الله تعالى الى نبيه الكريم إبراهيم عليه السلام كيفية وضع الأسس والبناء المتماسك بوجه المؤثرات الخارجية فكانت عمارة لا تضاهيها عمارة وأقسم الله سبحانه وتعالى بها . انها مازالت شاخصة ببنائها المكعب الفريد الذي يواجه السماء مباشرة إذ يقول تعالى : (والبيت المعمور والسقف المرفوع)[٥] انه تأكيد على روعة عمارة البيت الذي في السماء الثالثة او السادسة او السابعة وجمالها وقدسيتها عند الله الذي اقسم بها وبالسماء التي رفعت بلا عمد

وقد أراد ان يعبر للإنسان عن روعة ذلك البناء العظيم ، ويذكره ان الحساب والعذاب واقع على الإنسان في اليوم الآخر فكانت العمارة الرائعة موضع القسم وتوكيد وقوع الفعل والحساب . وان ذلك البيت مرجعٌ ومآبٌ للعالمين يحجون إليه في كل حين ، حين قال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً)[٦] فضلاً عن كونه بيت عبادة ومحطة التقاء المؤمنين انه المكان الآمن الذي تستقر فيه النفوس لبهائه وجمال عمارته وقدسيته وهذا هو المفهوم الأول لفن العمارة . انها مأمن من الظلم والغارات وقد أراد الله سبحانه وتعالى ان يذكر الخلق بالأسس التي استخدمت لبناء بيت الله الحرام واشاعة ثقافة البناء المتماسك ككرب النخل وجمال الفن المعماري بين الناس وهذه دعوة الى التحول نحو الاستقرار وبناء الحواضر وتشجيع الناس على التعمير وبناء المساكن كي تكون مقاومة للظروف الطبيعية والكوارث المحتملة فضلاً عن ذلك شجع الله العباد على بناء المساجد كونها أماكن عبادة وان من يقوم بذلك العمل سيجزى الحسنى وهو دليل على الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)[٧] فعمارة المساجد فريدة في الفن الإسلامي وإخراجها بالشكل البهي لازمة في أعناق الخيرين وقد وردت أسماء المدن والأماكن المسكونة في القرآن الكريم مثل مكة وبكة ويثرب .. الخ وذلك تشجيع للإنسان على الاستقرار وبناء العمارة وإدخال عنصر الجمال فيها ان الله سبحانه وتعالى يشجع بني البشر على استغلال الأرض واستثمار خيراتها وتعمير المدن وإقامة الحواضر قال تعالى : (وكانوا اشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها .) [٨] والمقصود بهم قوم عاد وثمود اللذين ضرب الله بهم مثلاً في الكفر وقد علّم الله سبحانه تعالى الإنسان أساليب العمران بحسب البيئة التي يعيش فيها وقد تعددت الأشكال الهندسية في المنطقة العربية تبعاً للبيئة فالجبال طبيعة صخرية وعرة والعمل فيها شاق وخير ما يلائمها النحت لبناء المسكن او المأوى وهو الأسلوب الامثل اما السهول والبوادي فلها طبيعتها الخاصة في البناء والاختلاف الحاصل بين الاثنين السهول والجبال جاء تبعاً لتلك الطبيعة ، حين قال تعالى :(تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً)[٩] ان هذه الآية قسمت أشكال البناء والعمارة على قسمين الأول البناء في السهول وشكل العمارة الامثل فيه هو القصور لان المواد المتيسرة والمستخدمة فيها تختلف عما موجود في الجبال وان تربتها سهلة الحفر لإقامة الأسس وان ما حولها يصلح لإنشاء الحدائق المزدهرة الجميلة والرياض

الغناء وان استثمار السهول في الزراعة مثالي ويلبي الحاجة الاقتصادية والمعاشية اما الجبال فطبيعة مختلفة تماماً لأنها صخور وعرة وصماء وذات تصميمات عجيبة لذا قال سبحانه وتعالى تنحتون فهناك فرق بين الفعلين اتخذ- ونحت .

فالاتخاذ يعني السهولة والجاهزية للعيش والبناء في تلك البيئة بينما نحت يعني تطويع الطبيعة وصعوبة العمل وان الأدوات المستخدمة قوية وتحتاج الى جهد عضلي وعقلي كي يقوم الكهف ليكون مسكناً محصناً يقي الإنسان من التقلبات الجوية والبشرية فضلاً عن ان البيئة في الجبال أكثر نظافة وتصريفاً صحياً وأمناً من السهول فالجبال محصنة بطبيعتها وتساعد على الاحتماء لذا فضلها بعض الأقوام وأقاموا مساكنهم فيها والسهول مناطق تصلح للسكن في فصل الصيف اما الجبال فينحتون البيوت فيها ليسكنوها في فصل الشتاء قال تعالى : (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين)[١٠] ان حروب المناطق الجبلية ستبقى من أصعب الحروب بسبب الطبيعة الوعرة وانها توفر الأمن للمدافع فضلاً عن ذلك انها مناطق سياحية حين قال تعالى : (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)[١١] لقد أكد الله تعالى النحت في الجبال لأنها ارض صخرية تحتاج الى مهارة وأدوات خاصة كي يتمكن الإنسان من إنشاء بيت سكن فاره يسر الناظرين .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة خلق الإنسان في الأرض وكيف سخر له كل شيء وجعله مستثمراً لما فيها من خيرات وهذا هو البناء الإنساني او عمارة الإنسان حين يقول : (هو أنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها) [١٢] لقد كانت هناك عمارة إلهية أبدع في تكوينها الخالق عز وجل ، وهناك عمارة أبدعتها عقلية الإنسان فالمخلوق الأول كانت نشأته من الطين وخيراته ورزقه منها ثم يعيده اليها وجعلكم عماراً تسكنون بها .

فالإبداع الإلهي في العمارة والبناء يظهر واضحاً في بناء السماء ان الله سبحانه وتعالى بنى السماء وكان معجباً بذلك البناء المهيب حين قال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) [١٣] او قوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) [١٤] ان السماء بناء الله العجيب وهو تأكيد على قدرات الخالق الخارقة ويجب على الانسان ان يعتبر بهذا للمخلوق العجيب .

وجراء العمارة الرائعة التي انعم الله بها على الخلق نلاحظ ان هناك حواراً بين زوجة فرعون وبين الله تعالى حين طلبت منه ان يعوضها جراء صبرها على

حياتها مع فرعون : (اذ قالت ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنة) [١٥] ، يبدو ان هندسة ذلك البيت وعمارته من طراز خاص وهو نعمة من نعم الجنة وبسكن تلك البيوت الا عباد الله الصالحون وما دام ذلك البيت هكذا فلابد من ان تكون العمارة فريدة جداً في الفنون والزخرفة . تكريماً لأمرأة فرعون لانها امرأة صالحة وكانت مثلاً للمؤمنين وقد رفضت بيوت الدنيا وزخرفها فضلاً عن ذلك البناء كان بناء الغرف وقد ابدع الخالق سبحانه وتعالى في هندستها في الجنة أيضاً إكراماً للمتقين وقد جعل من تحتها انهاراً : (لكن الذين اتقو ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار)[١٦] وهذا النظام علم الإنسان كيف يبني الطوابق المتعددة على وفق البناء العمودي المعروف اليوم فكانت الشاهقات وناطحات السحاب .

ان القرآن الكريم أكد نظام بناء الغرف في الجنة للمتقين وهذا جزاء لما عملوا في الحياة الدنيا فكان نظام العمارة في القرآن غرفاً من تحتها الأنهار : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) [١٧] ان تلك الهندسة والعمارة الإلهية للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

ان طراز البناء والعمارة في القرآن الكريم من إبداع الخالق وقد حاول الإنسان ان يحاكي ذلك الطراز سواء أكان بالفطرة ام بالقصد فكانت جنة عاد التي بناها الإنسان ولكنه لم يتمتع بها لأمور وحدانية وإلهية وأخلاقية وقد اخبرنا القرآن الكريم عنها وعن عمارتها.

لقد حاول الإنسان جاهداً ان ينقل هندسة القرآن الكريم في البناء والتصميم الى الواقع فضلاً عن ذلك انه يشار الى بناء جنة عاد عند الأقوام البائدة وكان البناء فريداً جداً . (ألم ترَ كيف فعل ربك بعاد. ارمَ ذات العماد . التي لم يخلق مِثلها في البلاد) [١٨] ان قدرة الله فوق كل شيء (وهذه إشارة الى إظهار وجه التقدم الذي كانت عليه الامم من قبل مثل عاد وثمود وفرعون في مجال العمارة) [١٩] ان الله فوق كل شيء وهو العزيز القدير ويده فوق البشر مهما اتوا من علم (ان الآيات بمجملها سواء ماكان منها تحدياً في اللغة او في العمارة فانها تشير الى ان هذين الحقلين يعدان من ابرز الوجوه الحضارية للأمم والشعوب) [٢٠] فارم هي عاد الاولى وكانوا طوال القامة واصحاب بطش وقوة وقد قهرهم الله بقوته وجبروته فكانوا مثلاً في القرآن الكريم .

وينقل لنا القرآن الكريم خطاب فرعون الى هامان : (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً) [٢١] وهذا بناء من نوع خاص انه بناء الصروح الشاهقة التي حاول فرعون بواسطتها التعبير عن جبروته وطغيانه وسلبه حريات الناس وقد أشار القرآن الكريم الى المواد المستعملة في بناء ذلك الصرح وهي الطين المفخور الاجر كي يبني قصراً عالياً إذ قال تعالى : (فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحاً) [٢٢] ان الله سبحانه تعالى يعلم الإنسان كيف يطور المواد الطبيعية ليجعلها أكثر مقاومة بوجه التقلبات الجوية وأكثر قوة وصلابة .

والصروح حضارة تلك الأمم في الاستخدام وفي التصاميم ، (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتهُ لجَّةً وكشفت عن ساقيها قال انه صرحٌ ممردٌ من قوارير قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين) [٢٣] ، ان نظام بناء الصروح كان معمولاً به ففرعون طلب من هامان ان يبني له صرحاً والنبي سليمان (ع) كان عنده صرح من طراز رفيع جداً في البناء والعمارة فلما أوتي ببلقيس اليه دخلت الصرح انبهرت مما موجود وتوقعت أنها دخلت لجَّة او بركة ماء لشدة لمعان الأرضية والجدران كأنها سطح من زجاج شفاف ابيض تحته ماء عذب فكشفت عن ساقيها ولكنها فوجئت بكل شيء داخل الصرح فقال لها (انه صرح ممرد) لقد أراد النبي سليمان (ع) طمأنتها وان يبعث الهدوء والسكينة في نفسها لشدة هولها وإعجابها فالقوارير والمرمر والأحجار الثمينة والهندسة الرائعة كانت قوام ذلك البناء المهول ولم يكن ذلك في حسابها لذا انبهرت اشد الانبهار ، انه فن معماري رائع الى جانب نور النبوة (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وقد استخدم الإنسان ما تيسر من المواد في البناء والعمارة او ما تجود به الطبيعة من حجر او جذوع النخل او أغصان الأشجار فضلاً عن جلود الحيوانات التي دخلت في صناعات عديدة منها بناء البيوت قال تعالى : (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم) [٢٤] فكان هناك نوعان من البيوت بيوت الحاضرة المستقرة وبيوت البدو الخفيفة حين الترحال ومادتها الجلود والشعر .

وأشار الله سبحانه وتعالى الى الحديد الذي استخدم في صناعات عديدة كالسيوف والدروع والتجهيزات العسكرية الأخرى وكذلك البناء حين قال تعالى ومنافع للناس : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) [٢٥] فكان يخلط مع مواد

البناء لأنشاء مساكن قوية بوجه الكوارث الطبيعة الى جانب الحجارة والصخور او نحت الصخور لصناعة البيوت المحصنة الجميلة وهو ما يعرف اليوم بالخرسانة : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) [٢٦] ان الأقوام البائدة مازالت بعض آثارهم وطرز بنائهم موجودة وقد أشار إليها القرآن الكريم في دقة الفن والعمارة إذ قطعوا الصخر واتخذوها بيوتاً .

ولم تقتصر العمارة في القرآن الكريم على الإنسان بل كانت هناك عمارة رائعة للكائنات الأخرى ومنها بيوت النحل . (واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) [٢٧] من هذا النص نعرف ان هناك وحياً او إيحاء الى النحل يعلمها البناء والمكان الملائم الذي يكون محصناً بعيداً عن التأثيرات الخارجية فالجبال مأواها أي سكنها فضلاً عن توفر عنصر النبات الذي يعد غذاءً رئيساً لها كي تنتج العسل فالجبال والمناطق المشجرة وعرائش العنب أماكن صالحة لبناء بيوت النحل . ان هندسة بناء خلية النحل او بيت النحل طراز خاص على وفق مساحة محددة وأبواب مثمنة وذلك من هدي الله سبحانه وتعالى والمواد المستخدمة في البناء ما تيسر من مواد طبيعية .

وكان هناك بيت العنكبوت الذي ضرب الله مثلاً بضعفه والمقصود بالضعف هنا ضعف العلاقات الأسرية اذ ان الأنثى بعد ان تتم عملية التلقيح تقتل الذكر وسميت بالأرملة السوداء قال تعالى : (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) [٢٨] من هنا اصبح البيت واهناً ضعيفاً ضرب الله به مثلاً .

ثم بيوت النمل التي تبنى على وفق نظام خاص علمها الله سبحانه وتعالى كيف تحسب حساباً لتقلبات الطبيعة وخطر الإنسان وورد حوار في القرآن الكريم بين النمل حين شعر بالخطر وقد قدم جيش كبير في واديه وكانت الضوضاء مثيرة للرعب وقد سمعه النبي سليمان (ع) فتبسم ضاحكاً حين قال تعالى : (حتى إذا أتوا على وادِ النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون) [٢٩] نستنتج من هذا القول ان هناك مساكن وطرز بناء خاصة في الهندسة والتصميم لهذا الكائن الحي .

ان القرآن الكريم عرض لنا أنواعاً مختلفة من الهندسة والتصميم للإنسان والكائنات الأخرى ليخبرنا عن عمارة تلك الأقوام التي لانملك عنها الا معلومات قليلة اخبرنا عنها القرآن الكريم لنستفيد من تجاربهم الفنية وليكونوا عظة للعالمين.

البيئة في القرآن الكريم

بالامكان ان نقول ان هذه الدراسة تتناول الإطار النظري للبناء والتصميم والهندسة والعمارة وكذلك البيئة التي تعد المحيط الذي تنشأ فيه العمارة وتتأثر به وتؤثر فيه وهناك ارتباط وثيق بين العمارة والبيئة (ان كلمة البيئة تبقى عامة ان لم توصف بوصف محدد ، فهناك بيئة طبيعية وهناك ايضاً بيئة اجتماعية وسواء أكانت هذه البيئة بهذا الوصف ام ذاك ، فأن العمارة تبقى ترتبط بسبب متين بها، فالإنسان الذي يعيش في هذه الطبيعة يكون معرضاً لتأثيراتها الناتجة عن طبيعة التضاريس الأرضية والمناخ ، والمباني التي هي الأساس لفن العمارة التي تصمم لوقاية الإنسان من التأثيرات القاسية للطبيعة) [٣٠] .

فضلاً عن ذلك ان الإسلام الحنيف أكد النظافة وجعلها شرطاً لازماً على المسلم في عبادته وكذلك أكد وجود البيئة النظيفة اجتماعياً وفكرياً كي لاتكون هناك تداخلات تجعل ذهن المسلم ولاسيما الحديث العهد مضطرباً جراء التقلبات الفكرية والاجتماعية وأكد الإسلام نظافة البيئة الطبيعة لأن لها علاقة وطيدة وحميمية بأداء الفرائض والعبادات التي يقوم المسلم بتأديتها يومياً فضلاً عن انها تؤثر في بنائه الجسمي والسيكولوجي والمعرفي والمعيشي .

نستنتج من ذلك ان العمارة لاتشيّد الا في بيئة نظيفة خالية من المؤثرات السلبية لأنشاء التصاميم الهندسية الرائعة والدقيقة وان البيئة اذا كانت سليمة جاء البناء سليماً . وكانت البيئة العربية حاضرة في القرآن بشعابها وسهولها وجبالها وصحرائها وحرها وبردها وقد وردت على شكل حوارات الغرض منها فتح الآفاق امام المؤمنين وتوضيح صورة البيئة القاسية نوعاً ما التي كان الإنسان احياناً يحاول الابتعاد عن حرها أو بردها قال تعالى : (وقالوا لا تنفروا في الحر) [٣١] لكن الله سبحانه وتعالى يخفف عن عباده الصالحين ويصرف عنهم تلك الأجواء القاسية ويذّكر القاعدين ان هناك جهنم التي ستكون قاسية على الظالمين وان من يخرج في الحر مجاهداً له اجر عظيم على عكس مايريد المنافقون او يكونوا عليه. قال تعالى : (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين

السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) [٣٢] انه نظام عجيب في تصريف الرياح ومساراتها وقد سخر الغيوم ليسقي ارضاً بحاجة الى الماء واكد الله الطبيعة الصخرية وعدم وجود الانهار في شبه الجزيرة العربية قال تعالى : (انزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها) [٣٣] فالبيئة بحاجة الى الماء فأمطرها الله سبحانه وتعالى فأمرعت أودية وواحات في صحراء تعاني الجفاف دائماً قال تعالى : (ربنا اني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [٣٤] هذا دليل على ان المكان جاذب للسكان ولاسيما الذي نزل فيه نبينا ابراهيم (ع) وشاهد على تلك البيئة التي اينعت ثماراً فيما بعد حينما نزلها القوم الصالحون لقد كانت ارض مكة غير مأهولة والنواة الاولى عائلة النبي ابراهيم (ع) وقد انزل الله تعالى الرزق والماء فيها فاتجهت افئدة الناس اليها وسكنوها وعمروا القصور والمباني .

وقد اكد الاسلام بناء بيئة اجتماعية خالية من الكذب والنفاق كي يكتمل جمال البيئة الطبيعية وكانت التعاليم الاسلامية كلها تدعو الى بناء مجتمع خالٍ من عبادة الاوثان وتوحيد الله سبحانه وتعالى فكانت البيئة الصالحة النظيفة هدفاً للقرآن قال تعالى : (فأجتنبوا الرجس من الاوثان) [٣٥] فضلاً عن ذلك دعا القرآن الكريم الى بناء بيئة اجتماعية خالية من قول الزور لأن الزور خراب المجتمع واذا ما خلا منه كان سليماً معافى ، و بيئة النشء الجديد صالحة سليمة وان بناء مجتمع قويم يحتاج الى تلك الاسس المتينة والروابط الحميمية الصادقة لبناء مجتمع متميز ، وقد تساوت طبقاته بفضل القرآن والاسلام فلا فرق بين اسود وابيض .

وفي الختام لابد لنا من ان نقول ان القرآن الكريم اهتم بالعمارة وجمالها واكد ذلك في مواضع عديدة لما لها من علاقة حميمية بالإنسان ولأنها تمثل مسكنه واماكن عبادته ولابد من ان نستفيد من هندسة القرآن الكريم وتصاميمه الجميلة في حياتنا اليومية فضلاً عن انه عرض لنا مواد البناء وكيف تبني بعض

الكائنات الحية مساكنها على وفق هندسة خاصة ونستخلص بعض التوصيات منها :

*التأكيد على حماية العمارة وصيانتها جراء تعرضها لعوامل البيئة او تقادم الزمن والحفاظ على التراث الهندسي من الاندثار لانه يمثل شخصيتنا المعمارية واحياء التراث المعماري .

*دعم المراكز المتخصصة وتطويرها وتشجيع اقامة مؤتمرات علمية ومعمارية.

*المحافظة على القديم الى جانب الحديث ومزج الحداثة بالقدم لأبتكار اشكال جديدة .

*دراسة علوم القرآن الكريم والاستفادة منها في مشاريعنا الهندسية والتصاميم المعمارية .

*تدريس عمارة القرآن الكريم في كليات التخطيط والعمارة وتشجيع طلبة الدراسات العليا على تسجيل موضوعات علمية تستمد فكرتها من كتاب الله سبحانه وتعالى .

*التشجيع على انشاء بيئة نظيفة خالية من التلوث والمؤثرات الصناعية .

الهوامش

١. مبادئ في الفن والعمارة ، شرين ، حسان شيرزاد ، ص١٧ .
٢. المفهوم الرمزي للاشكال في العمارة العربية الاسلامية ، ايثار جوزيف اسعد ، مجلة التراث والحضارة ، ص٤٢٢ .
٣. العمارة وتفسيرها ، خوان بابلوبونتا ، ص٧ .
٤. التوافق العلمي والجمالي بين اللغة والعمارة ، د.عماد يونس لافي ، ص٢١ .
٥. : الطور : ٤.
٦. : البقرة :١٢٥.
٧. : التوبة : ١٨.
٨. : الروم : ٩.
٩. : الاعراف : ٧٤ .
١٠.: الحجر : ٨٢ .
١١.: الشعراء : ١٤٩ .
١٢.: هود : ٦١ .
١٣.: ق : ٦ .
١٤.: النبأ : ١٢ .
١٥.: التحريم : ١١ .
١٦.: الزمر :٢٠ .
١٧.: العنكبوت : ٥٨ .
١٨.: الفجر : ٧ .
١٩.التوافق العلمي والجمالي بين اللغة والعمارة ، ص٢٦
٢٠.المصدر نفسه ، ص٢٦ .
٢١.: غافر : ٣٦ .
٢٢.: القصص : ٣٨ .
٢٣.: النمل : ٤٤ .
٢٤.: النحل : ٨٠ .
٢٥.: الحديد : ٢٥ .
٢٦.: الفجر : ٩ .
٢٧.: النحل : ٦٨ .
٢٨.: العنكبوت : ٤١ .
٢٩.: النمل : ١٨.

٣٠.التوافق العلمي والجمالي بين اللغة والعمارة ، ص٢٣.
٣١.: التوبة : ٨١ .
٣٢.: البقرة :١٦٤ .
٣٣.: الرعد : ١٧ .
٣٤.: ابراهيم : ٣٧ .
٣٥.: الحج : ٣٠ .

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
٣. تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد احمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، مكتبة العلوم الدينية للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان .
٤. التوافق العلمي والجمالي بين اللغة والعمارة ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة الى كلية الآداب – جامعة بغداد ، عماد يونس لافي ، ٢٠٠٥ .
٥. العمارة وتفسيرها دراسة للمنظومات التعبيرية في العمارة ، خوان بابلوبونتا ، ترجمة سعاد عبد علي مهدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٦. مبادئ في الفن والعمارة ، شيرين احسان شيرزاد ، الدار العربية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٧. المفهوم الرمزي للفناء الوسطي ، المهندسة إيثار جوزيف اسعد ، مجلة الحضارة والتراث ، المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية ، بغداد ، العدد ٨-٩ س ١٩٨٧ .

-Abstract-

Architecture and Environment in the Holy Qur'an

Architecture is an art which substance is mixed with art and imagination that enables man to create shapes and places speak of its beauty and eternity.

Besides providing protection and safety against natural disasters , or it can be shaped as castles and against enemies' attack , architect radiates beauty and joy to the human soul .

Architecture is one of the most important sciences mentioned in the holy Qur'an .it provides documentary designs as witness on the anient nation which were pioneers of artistic Architecture such as A'ad's Heaven and the nation of thamoud who woulded their houses in the rocks . Allah almighty dernonstrated the construction of Heavens Earth, man, the holy Ka'aba , and how he taught man to carve vast houses from the rocks and build mansions in fields and on oases .there were cultures famous for building shires like prophet soloman's shrine and faroah's .the materials used in constriction are: clay, baked clay , construction system , and solid constriction system like the large leaves of palm trees which prophet Abraham used in building AL-Ka'ba kept balling apart until Allah Almighty inspired him to build it just like the palm tree. Just then AL-Ka'ba stood erect, solid and holding together also to be mentioned is the architecture of other creatures like : bee hives , ant colonies and spider web which illustrate represent an architecture of special design and the material used in them are special too ,not to overlook the role of the sutable environment for construction and its effect on its survival against the effect of natural element the paper recommends the following :

1- protecting ancient architecture by maintaining them as an important port of culture .

2- supporting the specialized centres.

3- studying the sciences of the Holy Qur'an and applying them in architectural designs and encouraging highes studies student to deal with this subject relying on the Holy Qur'an.

4- Encouraging better environment and maintaining the public institutions.